فيما بينها على أن تفرض سلطانها فى الأرض ، ومن وراء هـــذه المبادىء والأوضاع أصحابها ينشدون لأنفسهم بسط النفوذ ! ...

ومن عجب أن هؤلاء الدعاة إلى مختلف المبادىء والأوضاع ، لا يختلفون فيما يتخذون لأبواقهم من أقوال ، فألفاظ الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية ؛ — يتجاذب أطرافها أولئك الذين يتنافرون فيما يدعون إليه من مبادىء وأوضاع .

ومن ثم اختلط الأمر على جمهرة الناس ، فأصبحوا فى فكر مبلبل ، ورأى مقسّم ، يضنون بثقتهم أن يركنوا بها إلى مبدأ أو وضع من تلك الأوضاع والمبادىء، ويشفقون أن يكون ماحسبوه عدلا وحقاً ، هو الظلم البين ، والباطل الصراح !...

ولعلى لا أغلو إذا قلت إن الجوهر الأصيل لتلك المبادىء والأوضاع لم يعد واضحاً للعيون ؛ إذ توارت أشعته وراء الحجب المتكاثفة من غيوم الدعايات بين معارضة وتأييد ، فلقد سخرت لهذه الدعايات قوى المنطق والبيان ، وجندت لها فنون التأثير والإغراء ! ...

إن الذكى الفطن اليوم ليرى لزاما عليه أن يتهم ذكاءه ، وفطنته إزاء ما يقرأ وما يسمع ، مستريبا بهذا وذاك ، لا يلقى قيادة لحجة وإن سطعت كعمود الصبح ، ولا يؤمن لقول وإن بلغ من نفسه